تكبيرات العيد .. وغياب المحبين!!

بدرية بنت عبدالله آل غوى

في كل عام حين يلوح هلال ذي الحجة ، يخفق القلب فرحًا ؛ نتهيأ لعيد الأضحى كما اعتدنا: نغسل الأرواح قبل الثياب ، نُحيي القلوب بالتكبير قبل أن نُحيي البيوت بالبخور.

وقبل ٩ أعوام وقف العيد على عتبة بابنا ، مترددًا ! وكأنّه يسأل: "أأدخل وقد غاب أحدكم؟".

وكل عام يمر علينا يقف ويسأل نفس السؤال
ولكن هذا العيد ، جاء مختلفًا فتكبيراته علت ، لكن قلبي كان خافتًا ، وخروف الأضحية جهّزناه ، ولكن الذبح الحقيقي كان لفرحتنا ، حين غاب أخي ... مريضًا ، متعبًا ، يتقلب على سرير المستشفى ، ولم يكتب الله له أن يعيد بيننا .

نعم في هذا العيد نظرت في صمت أبي ، في ارتباكنا ونحن نحاول أن نفرح ، فنخذل الفرح .

لكن مع كل ترتيباتنا ، كان ركنٌ في القلب فارغ لا يملؤه أحد ، كانت نظراتنا تتجه دومًا إلى حيث كان يجلس ، إلى ابتسامته في صباح العيد، إلى صوته وهو يمازحنا كأن الفرحة اعتذرت هذا العام، وقالت: "سأزوركم بخجل".

فرغم الحزن ، وقفنا بين يدي الله ، كبرنا ، ولبّينا ، وذبحنا تقرّبًا وعبادةً وطاعةً لا عادة.
نعلم أن شعائر الله تُعظّم، وأن الحزن لا يُلغِي الشرائع ، ولا يؤجل الذكر.
لكن القلب ... له لسان آخر ، يذكر غياب من نحبهم مع كل نبضة.

في دعائنا بعد الذبح ، رفعنا الأكف:
"اللهم كما تقبلت ذبيحة إبراهيم ، تقبّل منا أضحيتنا ، واشفِ أخانا ، واغفر لمريضنا ، وردّ الغائب سالمًا معافى".

علّمنا هذا العيد أن إظهار الشعيرة لا يُلغِي الحزن ، وأن الإيمان لا يتعارض مع البكاء ؛ بل هما رفيقا دربٍ طويل: تُصلّي وتبكي ، تُكبّر وتشتاق ، تُضحي وتُحب.

وما أجمل أن نحمل أوجاعنا إلى الله ، في زمن العتق ، في يوم النحر ، في ساعات الإجابة.
وما أصدق الدعاء حين يخرج من قلوب مفطورة ، لكنها متوكلة.

أن تُخبّئ دمعك خلف عبارات التهنئة. أن تُكبّر لله ، وصوت قلبك يهمس:
"يارب ، عيدنا ناقص .. وأنت وحدك القادر على جمع عائلتي ، والشفاء بعد الوجع."
وإن لم يكتب الله لأخينا أن يعيد بيننا هذا العام ... فلعلّ القادم أجمل.

ولعل دعاء العيد ، يُحمل في الملائكة ويصعد إلى السماء ، فيُكتب له عيدٌ قادم بيننا ، ضاحكًا ، معافى ، سعيدًا .